معـــاركُ الحيـَــاة

تـأَلِـيف :

عبد الرحمن فكاي

المقدّمَة

بسم الله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه و من والاه

أمّا بعدْ :

عزيزي القارئ إنه مما لا يخفى عليك أننا نعيش هذه الحياة لنعبد الله و نوحده فهي أسمى غاية لكننا مطالبون بالسعي وراء عيش كريم و لا بد أن يتطلب هذا تعلما تارة و تجربة تارة أخرى ، فما كتبته إلا عن تجربة لتتعلم منها قبل أن يدركك ما أدركني فتتجهز للمواجهة ، لذا كل ما عليك أن تأخذ ما وجدته صحيحا و تنبذ ما وجدته خاطئا ، حكّم عقلك فيما تقرأ فمن الممكن أن يكون كل ما كتبته خاطئا فالمهم أن تستفيد من تفكيري الخاطئ لتبني تفكيرك السليم .

أتمنى لك رحلة رائعة بين أحرفي المتواضعة

تحيَاتي

إهداءْ ..

إلى أمّي التي أضرمت في نفسها النار لِـ تنير
طريقي المظلم

عندمَا تستيقظ ..

عند ذلك المنعطف الذي كسر رتابة طريقك المستقيمة ، عندَ ذلك الحدث الذي حرك ركود حياتك ، عند أول شعلة نار أشعِلَتْ في أحشائك لتجرب ألم الحروق ، عندَ تلك العاصفة التِي حرّكتك بعنف لتوقظك من أحلامك لتخبرك بقسوة أنكَ في معركةِ الحياة !

عزيز القارئ .. أعلمُ أنه تبادر لذهنك ذلك الحدث المؤلم الذي جعلك تنظر للحياة بجديّة بعيدا عن سعادة الطفولة التي كنت تتكأ فيها على والديك و ربما أصدقائك ، ذلك الحدث جعلك وحيدا رغمَ كثرة الحشود ، متألما رغم الكلمات الحانية المترامية عليك ، مذهولاً رغمَ علمكَ بما حدث لك ..

نعم هناك في تلك النقطة في الفضاء كنت جالسا تبكي و تدعي يكسوك الظلام من جميع النواحي ، تتسائل عن عذرية ما تشعر به و ما سبب عدم شعورك به من قبل بل و ربما شكّكتَ في حقيقة ما يحدث لك !

كنتَ تفكر بطريقة تحليلية تبحث عن الحل بإستماتة تهمّ بالإقدام على أفعال طائشة للهروب من الواقع الذي علقت به ، عندها خطرت في بالك فكرة ثائرة كانت عذراءُ أيضا استمعت لها باهتمام ، ألقاها الله في طريق بحثك لينتشلك من ضياعك لتخبركَ أنك كنتَ ثملاً بسعادة الحياة و براءةِ الطفولة ، أنكَ كنت منغمساً في بحر يوصلكَ لبرّ الحياة ، **أنكَ كنتَ نائماً و إستيقظتْ !**

عندما إستيقظت وجدت نفسك تائها لا تعرف ماذا عليك أن تفعل ، تبحث عن أجوبةٍ عن أسئلتك اللامنتهية ، لم يفصل بين أسئلتك و أجوبتها سوى تجارب مصطفة أمامك لا بل معارك فَأنت الآن في حرب الحياة و هنا نجد إجابةً لتساؤلنا عن تدهور أشخاص كنّا دونهم في مجالٍ ما من مجالاتِ الحياةْ و هو أنهم بكل بساطة دفعوا ثمن تهربهمْ من المعارك خوفا من ضرائبِها فتكدّسوا كبضائع منتهية الصلاحيةْ و لم يعلموا أنها قد تأتي هيَ إليهم !

ليس عليك أيها القارئ أنْ تخوض كلّ التجارب فهو ضربٌ من الجنونْ أو قفز إلى الهاويَةْ .كلّ ما عليكَ أن تلقيَ نظرة عما جرّبه الآخرون تحلّل خطواتهم بدقة تستخرج عوامل نجاحهم أو خسارتهم و لك أن تقيّمْ كم كانت مكلّفةْ غير أنها لم تكن مكلفة بالقدر الذي عانى منه المتهربون لأن تكلفتهم غير منتهية تتابعهم مع تتابع الساعات بل الشهور و الأعوام ستنهشهم داخليا حد الفناءْ . عندها ستقرر أيّ من التجارب الباقية عليك خوضه و هنا ما عليّ إلا أن أقول لك : توكّل على الله و كنْ حذراً !

عندما تستيقظ ستدرك سبب تفاوت كبر العقول رغم تساوي الأعمار ، ستدرك أن أقرب الناس إليكْ ربما لا يزالون مترددين في خوض بعض تلك التجارب ، أي أنك عليك أن تنقذ نفسكْ ، أن تدعوَ الله أن يوفقك في الإختيارْ و يلهمكَ في الإختبارْ .

عندما تستيقظ سترى الكثير من الأشياءْ كما لم ترها من قبلْ ، سيصبح كل شيئ جديدا نوعا ما و يصيبكَ الذهول ستشعر بالغربة و ينتابك الشك لدرجة أنك تصبح تريد التحقق من كل شيئ بنفسك .

عندمَا تستيقظْ إضبطْ مبادئكَ جيّدا و إجعل منها حائطاً مدرعاً لا يمكنُكَ هدمهْ إجعلْ من ثقتك بالله و حسن ظنك به أقوى إعتقاداتك ، حافظ على براءة طفولتك التي ظننتَ أننِي إحتقرتها عندَ حديثي عن لحظة إستيقاظك ، إتسمْ بنبل الفرسان و حنكة القادة و بصيرة الحكماء و تورّع الزهادْ ... هذا كثيرْ أدع الله سيوفقك لتكون كذلك يكفي أن تحافظ على نقاء قلبك .

عزيزي القارئ إذا لم تجد نفسكَ هنا ، إذا رأيت أنني أهذي بكلام فارغ فإعلم أنك لم تستيقظ بعد ، توقف عن صفع نفسك فأنت مستيقظ لكنكَ لم تستيقظ بعد أيْ أنكَ ميّتٌ على طريقة الأحياءْ !!

لن ادعكَ في سباتك سأدعوك لأن تنفض الغبار عن نفسك فأنت إن لم تردْ خوض الغمارْ فإن الحياةْ سترغمكَ على خوضها ، لا أقصد خوضها بمعنى المشاركة أو المجازفة أنا أدعوك لتقودَ نفسك بعقلانية لِفوزٍ ساحقْ . أنت خائفٌ من المجازفة ! .. سأزيدك هلعا بأنك الآن تخوضها دون أن تشعر و برحمة من الله تنجو و بسبب سباتك تتألمْ . و لك الإختيارْ !!

و يا من تظن نفسك على الطريق الصحيح يَا من وجدت نفسك في ما سبق من كلامي لا تتوقف هنا عوّد نفسك على التفكير و إعمل على إنتقاء و غربلة ما

تتشبع به ثم حاول أن تنفرد بتفكيرك عن الآخرين لا تدع السخافات و المواقف التي يراها المجتمع لمواضيع ما تثبطك حاول و لو مرة أن تشكك في صحة ما يفكّرون به ، لا تجعل من إستيقاظك نتيجة بل إجعله بداية مشوار .

أرجوك .. إستفد من إستيقاظك فأنت للتو دخلت حرب الحياة !

لحظة .. إستمع للقوانين جيداً !

أنت لتوك دخلتَ لحرب الحياة و كما هو معلوم لك أن لكل شيئ قوانينه التي ترسم معالمه و تبرز آفاقه و تجلّي من خطورته فإنه لا يخفى عليك أن للحياة قوانين أيضا ، قوانين من شأنها أن تكسبها ذلك الصخب و تزيد من حولها السراب المضلل ، قوانين تشعل في نفسك الحماس للغوص فيها بكل فضول و الخوف من مستقبل مجهول .

الحياة رقعة غير محدودة و ملعب لا ينتهي فهي تفاجئك بجديدها كل يوم تخبرك بتوالي الطعنات أنك لا تعرف شيئاً ، تهمسُ أنك إن أردت تفادي سيلان دمك بالقطرات فإنكَ لستَ محصورا بمساحات و كل ما عليك أن تستغل لا تناهي مساحاتك للخروج بانتصارك سالماً و بأقل الخسائر توقعاً ، هيَ تمنحك الأفضلية و الأريحية من حيث المكان و لكن الكثير يستسلم لحدوده الوهمية ، يتبعها كمثل يصدق سرابا ماثلا أمامه فيقع في المصيدة .فالكثير سطعوا بتغييرهم لمكان عملهم أو إقامتهم إذن عليك أن لا تحصر نفسك في مكانك لتضمن نصرك !

الحياة أعداد غير منتهية من البشر و شر لا ينتهي فأمامك الكثير من الأشخاصْ بتعدد الخبرات لكنكَ لن تجدَ من يساعدك فكلهم يواجه خصمه أمامه و لا وقت لينظر إليك أو بالأحرى لن يسمع ندائك أنا هنا أتكلم عن الفئة النادرة الفئة التي لازالت تنبض نقاءً و حبا للمساعدة و لم أتكلم عن سكان هذا العالم .

يوما ما .. ستصرخ مناديا بنبرة مستغيثة فجأة سيظهر أمامك الكثير سيلتفون حولك لتدرك للحظة أنه الفرج ، بعد إنقضاء تلك اللحظة ستدرك أنهم يستلذون بألمك يشاهدونك تتألم كمن يتفرج على مسرحية درامية و حينما يجف حلقك و ينقطع صوتك سيمسحون عيونهم الجافة من الدموع بمنديل و يرحلون . ستدرك أنك كان عليك أن تنادي ربك بدل حثالة من القوم لم يغنوا عنك شيئا فالكل مخادع يتتبع لحظة سقوطك على أحرّ من جمر ليحصل على متعته و إن أحسنت الظن ستفهم أنه لا أحد يهتم لأمرك !

لا أقصد بكلامي التعميم فعلى بعد خطوة من السقوط قد يلتقطك أحدهم لكن لا تبني خططك على أشخاصْ لأنك ستتواكل و بهذا ستصنع السلاح الذي يقتلك . إذن لا تحصر نفسك بأشخاصْ لكي لا تدرك بعد انقشاع الظلام أنكَ وحيد !

الحياةْ تبسط أيديها للقلوب المتفائلة المؤمنة بقضاء الله و قدره تعطيك درسا رائعا في النقاءْ تبدع في زخرفة كل جميل ما دمت تفكر برونق ساحر ، لا تقل لي أن الأمل قد يسرقه منك حلمٌ ضائع أو عزيز غائب أو أمنية مستحيلة **فالأمل أن تحافظ على تفائلك و أنت تودعهم !** الأمر يحتاج قوة أجل فالأمل لم يكن يوماً للضعفاء .

ليكن في علمك أن القوانين التي تضعها لنفسك لا علاقة لها بقوانين الحياة و عليك أن تعلم أنهما سيلتقيان في أكثر من مرة و يتصادمان في أكثر من حادث لتحترم قوانينك و تخرق قوانين الحياة فلا يهم خسارتك أمام الحياة **فالفوز الحقيقي أن لا تخسر نفسك !**

أخيرا سأخبرك أكبر قانون من قوانين الحياة فلا تندهش رجاءً و لا تدعني بالمتناقض و لا بالمجنون فقوانينها **قابلة للتغيير.** فهي ستدهشك بتلاعبها لأن المساحات ستضيق و الأشخاصْ سيغدرون و كل ما هو غير مألوف عليك أن تألفه بما فيه تغير أحوالك كحتمية تغير هذه القوانين ، لست بالمتشائم و لا بالضاجر من قضاء الله فأنا أطلب منك تقبل هذا القانون لكي لا تصبح كذلك . كما أنه عليك أن لا تحصر تغير القوانين على المساحات و الأشخاص فقط لأنني سأعتبرك أحمقا إن فكرت بذلك !

تعامل مع قوانين الحياة بمرونة خاصةً مع تغيرها لتكسب معركتك و لا تتذمّر ، فكل ما عليك أن تتصف ببعض المرونة ، المرونة فقط !

عزيزي القارئ لعلك تقول في نفسك : لم تأت بجديد إذن ! و إعتبرت كلامي لا فائدة منه لكنني سأخبرك أنك ستعود لكلامي هذا جريحا لتضمد به جروح طعنة في معركة من معاركك الخاسرة .

الحرب حربكْ

بمجرد إستيقاظك سترى أشياء لم تكن ترها من قبل فأنت كسرت حاجزا وهميا لتعي الواقع الذي تعيشه ستراه بأعين مبصرة شاخصة و كل ما عليك أن لا تندهش ، سترى المعارك الناشبة في كل إتجاه و تلمح أولئك الأعداء يريدون دكّ حصونك و أنت ليس في وسعك أن تبقى متفرجا و لا أن تعتبر نفسك في الحياد !

عزيزي القائد .. أعداءك لا تحصرهم في الأشخاص الذين تكرههم فالتجارب من أكثر المعارك و أكبرها و لن يكون الأشخاص الذين يسكنون الجانب الأسود من قلبك إلا مشاة ضعفاء لا حول لهم و لا قوة . بل يمكنك أن تعتبرهم أهدافك أو أسئلتك المجهولة و التي عليك أن تجيب عليها واحدا واحداً و الأقرب فالأقرب.

كل ما عليك في معنى أن تخوض حربك هو أن رسم حدود مملكتك بعناية دون أن ترضى بالتضحية ببعض من أرض أمنياتك أو حتى شجرة أحلامك التي لطالما همّشتها في صفحة تفكيرك و أن تسيطر عليها جيدا فأنت لن تستطيع المضي بعيدا في هذه الحياة إن لم تستطع السيطرة على نفسك و تصل للسلام الداخلي و تتصالح مع نفسك ، فالأمر مشابه للإستعمار التقليدي فلم توجد دولة عبر التاريخ إستعمرت دون الوصول لقمة إزدهارها و حضارتها ، لذا فأول معركة عليك القيام بها **أن تقضي على الحرب الناشبة في أحشائك !**

أن تخوض حربا هو أن تتسلح جيدا بشجاعتك المخيفة و جنونك الصاخب و روحك القتالية المدمرة كأن ترمي خوفك كلباس إهترئ من سحقك له بقدميك و تتأمل الممالك القريبة منك بعينين متلألئتين و أحشاء تتقدان ناراً شوقا لكل ما هو آتٍ ، أن تلتقط نفسا عميقا لتلقي على نفسك خطابا حماسيا من شأنه أن يرفع من قوة جيشك الذي يتمثل في دقة حواسك .

أن تخوض حربا هو أن تخطط بحذر شديد و ذكاء حاد كما عليك تختار توقيت حربك و أهدافك بعناية فائقة و إنتقاء دقيق فليست كل الممالك مناسبة لحضرة قيادتك و إن كانت مناسبة فالوقت قد يقف دون ذلك فملائمة المكان و الزمان ضروريان لكنك في بعض الأحيان عليك أن تكتسح كل من يقف في طريقك للوصول إلى المملكة التي تريد إحتلالها حتى و لو وقفت في طريقك مملكة أخرى صدفة أو يمكنني القول صدفة جغرافية فلا حل أمامك إلا أن تمسحها من أمامك أو عادةً تستغلها لتقرّب نفسك من الهدف فالأمر يرجع إلى توكلك على الله ، حنكتك ، خبرتك ، دهائك ... ألم أقل لك أن الحرب حربك !

لا يمكنك التفكير عزيزي الإستراتيجي أن كل من دونك من البشر أعدائك و لا يمكنك أن تعتبر الكل أصدقاءك لأن عند هذه النقطة يظهر الأحمق بجلاء فخلطك بين عدوك و صديقك لن يعرضك إلا لطعنات عدوك و أنت تشك في صديقك ثم إعراض هذا الأخير و أنت تستنجده لمساعدتك على عدوك . لن يزيدك هذا إلا تخبطا ، طيشا و تهورا فالتهور لن يؤدي إلا لتهور مثله ، أوَلَم تهور في شكك في صديقك !

فكل ما يمكنك الاستعانة بالممالك التي تثق في قائدها و تعرفه حق المعرفة لمساعدتك في معركة من معاركك اللامنتهية لأن عقدك العزم على الإعتماد على نفسك فقط سيدفعك لقاع الوحدة لتتخبط حد الفناء و حري بك أن تؤمن أن الله معك في كل شيئ و تتوكل عليه ثم تتجه لما دونه من البشر .

لعلك ستسعد بأنك ستحظى بمساعدة الجميع و لكنني سأقاطعك بسؤالي : و هل تعرف عدوك من صديقك ؟ هنا ستقرع طبول تفكيرك لتنتقي و بدقة أصدقائك الذين يمكنهم مساعدتك في الوقت الراهن فلا برهان يضمن لك بقائهم بجانبك بعد مدة ، و كل ما عليك أن تعاملهم في مدة ولائهم لك بشهامة لم أقل لطف أو صدق فالشهامة برقيها تشملهم بل تفوقهم رقيا فهذا الخلق لا يمكن إنكاره حتى من أعدائك !

و حتى لو كان بإمكانك طلب المساعدة بمن تثق فالتخطيط و القرارات ترجع إليك لأن الحرب حربك !

جرب حلولك المتوفرة برشادة و نباهة كأن تبحث عن أقرب فرصة للنصر و تكسب المعركة بأقصر مدى يمكنك ، حاول أن تحطم حصون أهدافك ، إحتلها و غير خريطة واقعك البائسة .

لا تنسى .. أن تستمتع بمعاركك قدر المستطاع ، إستمتع بكل خطوة تقدمك، بكل ألم يثقل،بكل إرهاق يتعبك ، بكل نشوة توصلك لها و بكل نصر تحققه ...
فالمعارك ستكون الجزء الأكبر من حياتك لا تدعها تغيرك و لا تخسر نفسك !

و أخيراً .. أريد تنبيهك أن رسم الخطط يحتاج في بعض من اللاواقعية كأن تصدق حدسك أي أنه ليس عليك أن تؤمن بمبدأ الحتمية بنسبة كاملة دع نفسك تسبح في بحيرة عقائدك الروحية . توكل على الله لأنه سيكون معك سيسددك في رسمك للخطط و في تلك الحظة الحرجة عقب إكتشافك فجوة فيها و تسلح بحسن ظنك بربك فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يقول الله تعالى : {أنا عند ظن عبدي بي } . و تذكّر دائما إن أصابك الفتور و الإهمال أنّك لن تهلك إلا نفسك بهذا الوضع ، استجلب الشعور البغيض بالأنانية لتحفز نفسك فالحربَ حربُكْ !

مَـا الفائِدة منَ الخسَـارةْ ؟

كلٌ منا يعيش حياته على أمل النجاح ، يخوض معاركه على أمل النصر ، يعدو بأقصى سرعته على أمل الوصول . و ما دمنا نحاول فلا بد أن نصطدم بلائحة نراها ضخمة مكتوب في وسطها بخطٍ أسود **خسارةْ** .

الخسارة لم تكن يوما تعني النهاية لكنها قادرة على دق نواقيس الخطر و تسرب الخوف إلى أحشائك لينمّي فيك كل ما يساعده على العيش بداخلك ، الضعف ، الكسل ، التعب كلها تابعة له تكبلك بقوة لتمنعك من النهوض ثانية أو حتى إكتشاف أن تلك اللائحة التي إصطدمت بها لم تكن بذلك الكبر !

عند أول دقة لناقوس الخطر كل ما عليك أن تحكم إغلاق قلبك أي أنك ستغلق حصونك لتفادي دخول جاسوس قد يعرضك لحرب داخلية ، نعم إنه جاسوس يدعى : الخوف . بعد تفادي الجواسيس قيّم خسائرك بتمعن أو بالأحرى بتأمل عندها ستشعر بمدى حماقتك ستحزن على ما خسرت ستنضج بمقدار الألم لا بل بمقدار الدموع التي تنسكب فدموعك ستكسبك قوة جديدة فمن القوة أن تجرأ على البكاء عند هزيمتك فمن الكلمات التي تملأ أذن الذكر منذ ولادته الرجل لا يبكي ، ليصبح رجلا قاسيا تنتقده كل النساء و يقلن بصوت واحد الرجال قاسون جدا و لا يعلمن أنهن شاركن في جريمة قسوة قلوبنا ، فهم حفروا فينا تلك المقولة و نحن تمسكنا بها أكثر مما ينبغي !

ستدرك عند الخسارة أنك نجوت من الكثير من الأخطاءِ القاتلة لكنك تماديت في تكرارك لها فطعنتك لتفيق فنحن دائما نحب أن نتألم و لنتعلم أو بالمعنى الدقيق لننضج و لنزداد فطنة و حيطة ، لنصقل خبرتنا بحربنا الخاسرة لا بد أن لا نكرر هذا الخطأ ثانية فكما يقال : { الضربة التي لا تقتلك تقويك } و كل ما عليك أن تحمد الله أنها لم تكن قاتلة .

عزيزي القارئ لا تنظر للخسارة على أنها سوء خط فهي نبهتك لأخطاء كان من شأنها أن تقضي على كل أحلامك على مسيرتك الحربية ، على آمالك و خططك المستقبلية فلو واصلت مشوارك و أنت تقترفها دون علم لأتى يومها الذي تقضي عليك فيه ، فخبر خسارتك يمكنك أن تدرجه ضمن الأخبار السارة كما أن بعض الخسائر ترشدك لأخطاء كانت تعرقل سطوعك و تألقك أي أنك ستنهزم لتعود بفوز ساحق ،كنت قادر على جعل تشبيهاتي أكثر ليونة لكنني لا أحبذ التشبيه بالأمور البسيطة فهنا يمكنك تشبيه وضعك بالبالون إذا أغرقته في الماء فإنه سيقذف بقوة نحو السطح و قد يتخطى السطح لثواني لكنني أتعمّد التشبيهات العنيفة لتعطي للأمر أهميته و لا تأخذه باستخفاف ... و شكرا

أصعب ما بعد الخسارة أننا نعلم ما يجب فعله لكننا نفتقد العزيمة التي نتوكأ عليها لنعود لساحة المعركة بشموخ بعد أن فككنا عقدة خسارتنا بسلسلة من الأفكار التي من شأنها أن تمحوَ أعدائنا ، فعقدة البداية أحيانا تكون أقوى من عقدة الخسارة ، فكل ما عليك أن تنهض بعزيمة و تواصل حربك حلّ بسيط للغاية أليس كذلك ؟

تنويـه :

أخي العزيز إجعل عزيمتك تنبع من توكلك على الله و تذكرك أن مواصلة جلوسك ستضرك أنت وحدك فإذا كنت ستواصل الجلوس فإن عدوك سيأتي قريبا ليجعلك في وضعية الإستلقاء ....

و كما أقول دائما : و لك الإختيار |!

قِفْ .. قبل أن تتحمّس !

الحياة حربٌ شرسة فهي لا تعترف إلا بالأقوياءْ دامية فلا بد من إراقة الدماءْ محمّسة تدفعك للتفكير بتهور و في بعض الأحيان بغباء .

كلّ منا عاش تلك اللحظة التي يشتغل فيها فتيل حماسه حيث يرى أن كل تخطيطه يسير كما توقع ، يتأمّل قوته التي وصل إليها ، سرعته التي تخطى بها الكثير ، عبقريته التي أذهلت الكل ، كم هو رائع أن تصل لهذه المرحلة فأنت قد دخلت أخيرا سكة وجهتها النجاح .

الحماس يصعب إشعاله فالأمور الروحية و المشاعر دائما ما تعود لإرادة الشخص نفسه و لكن إشعاله يوقظ جشعك لإحتلال كل الممالك التي أمامك دون إستثناء فهو يرفع طموحك لذروته ، يطمئنك دائما بأنك تستطيع حتى لو لم تكن كذلك و هنا تكمن الثغرة !

ستغتر بقوتك ، سرعتك ، عبقريتك و تعيش أحلاما و أهدافا لا معنى لها كأن تتبع صوت جشعك الذي ذكرته آنفا فهو سيرفع طموحك لذروته ليضمن أنك ستتحطم عند إفلاته ليديك و هنا قد دفعت ثمن تهورك الذي جعلك تفكر بغباءْ.

من المعلوم أن كل شيء إذا فاق الوسطية أصبح مضراً ، لذا كل ما عليك أن تمنع تأثير سكره لعقلك ، أن تمزق تلك الغشاوة التي ينسجها حول رأسك ... أن تتمهّل قليلا ، قليلا ، قليلا .. نعم هكذا سترى ما حولك جيدا فالسرعة الكبيرة تمنعك من الرؤية الجيدة فهناك من الهفوات ما هي قادرة على قلب نتيجة حربك ضدك

كما أن الفخاخ التي تحف القلاع كثيرة جدا هنا عليك أن تتصرف بحكمة و تدع طيش حماسك جانبا .

كما أن سرعتك المفرطة ستدعك تنسى الكثير من نفسك خلفك ، ستسبح بفكرك بعيدا عن شاطئ المألوف و ستتمرد بفكرك كثيرا بإعتبارك لنفسك أنها مختلفة عن الجميع ستحاول تحليل كل ما حولك ثم تغييره و هنا ستقول في نفسك لم لا أغير العالم ، لا ألومك على تفكيرك و أنصحك أن تدع له حدوداً إجعل الوسطية مقر أفكارك و لكن إيّاك أن تكون من مناصرا لمن يقولون أنه لا يمكنك تغيير العالم دون يدين متسختين و لا تجعل من غايتك مبررا لوسيلتك لأنك إن فعلت فأنك ستنسى بعضا من نفسك خلفك لذا : إحذر من ذوبان مبادئك إثر حرارة معركتك !

ليس عليك عزيزي القارئ أن تفهم أنني متناقض ففي البداية ذكرت روعة الحماس ثم أحذرك منه ، الحماس يحمل النقيضين تماما كما وصف إبن خلدون الحضارة فهو قادر على إيصالك لإنتصارات جبارة كما هو قادر على أن يلقي بك إلى الهاوية بضربة خاطفة ، أي أنه طريق مختصرة للخسارة أو للإنتصار ، كل ما أقصده هو أن تتمسك به و لكن بوسطية إحذر من إنفلات سيطرتك عليه أو إنطفاءه بركودك عليك أن تكون يقضاً طول الوقت و لا مكان للراحة فقد قاربت على كسب معركتك لأنك وصلت لمرحلة الحماس . بالمناسبة إن كنت قد أيقظت حماسك بنفسك فأنت قائد و ملك كفئ لمملكتك ... أهنئك !

لحظة الإنتصارْ ..

بعد معاناتك الشديدة تعرضت لصفعة أدت إلى إستيقاظك ، كنتَ ضائعاً تائهاً قمتَ بصناعة مملكتك شيئا فشيئا مبادئك ، قيمك وصلت لسلامك الداخلي ثم إعتليت على أسوارك باحثا عن فك ما تجهله أو تحقيق ما تصبو إليه و لم يكن في وسعك إلا أن تقود نفسك في معركة لتحديد خريطة حياتك من أفكار و أهداف و غيرها مما لا بد من السعي له .

مما لا يمكنك إخفائه أو التكتم عنه أنك واجهت صعوباتٍ كثيرة و حاربت بإستماتة ، جَلَدْ ، صبر ، حذر و توكلت على الله و قد ذقت علقم الخسارة و هذا لتحصل على ما تطمح له كنت قائدا شهما و مخططا عبقريا و جنديا شجاعا و كل هذا بفضل الله و ما سددك له .

وَ بعد كل هذا بدأت الشمس بالبزوغ و السراب بالتلاشي لم تصدق ما تراه عيناك لتدرك في تلك الحظة أنها لحظة الإنتصارْ بكل ما تحمله من حمدٍ لله و سعادة و نشوة و إهتياجْ و ربما بكاءْ ، تدرك أن تعبك قد نال ثمرته و أن عدوك قد لقي حتفه و أن سؤالك قد لقي جوابه و أن إنتصارك لم يقدر على روي تعطش طموحك لأنك ستعتلي على أسوار قلعتك الجديدة ليطرح سؤال أو هدف جديد و ربما حليف جديد و لم لا فأنا لا أنكر وجود إنتماء الأصدقاءْ و حنان الأقارب و إحتواء الغرباء لكن عليك من الأول أن تقنع نفسك أنها عابرة لتفادي طعنة الغياب الذي يعتبر محتوما فإن لم يكن بأحد الأسباب كان بالموت ، و لا يعتبر إقناع نفسك أنها عابرة أن تعامل بجفاء أو مصلحة أو غيرها بل أحثك

على أن تصافي و تحسن و تضحي و تأثر غيرك عليك لعلها تكون ذكريات تسلّي بها نفسك إذا ولى الزمان .

عزيزي القارئ .. أحيانا تكون لحظة الإنتصار أفسد لك من الخسارة لذلك أنصحك بتفادي الغرور لا تحاول التفكير بمدى قوتك أو كفاءتك أو شيئ كهذا فأنت لم تكن كذلك لولا فضل الله عليك لذا كن شكورا ، أشكر ربك بسجدة و أكثر من تكرار شكرك له بالسان و بالطاعة فهذا أنقى لقلبك و أرضى لربك من غرورك الذي ألقاه الشيطان في قلبك و الذي لن يجلب لك إلا سخط الله عليك .

لا بأس أن تكافئ نفسك تهنئها و تحنو عليها قليلا بعد إستنزافك لطاقة كبيرة منها إعتبرها شحنا يموّل جيشك لمعركتك القادمة ، تفادى جمودك معها فأكبر خطئ ترتكبه في هذه المرحلة المتقدمة أن تعاملها ببرود و كأنها عليها أن تتحمل عجرفتك الزائدة و بخلك بالقليل من اللطف أو تنظيم إحتفال حارّ على شرفها ، فعشق نفسك لك وقود لا ينتهي و نار لا تطفئ و طاقة لا تستنزف . و مع حبك لنفسك و مكافئتك لها لا تكن أنانيا دع الجميع يشاركك سعادتك لا تقل : أنهم لن يسعدوا أبدا أم أنهم منافقون ! أعلم أن هناك من هذا الصنف الكثير ليس عليك إسعادهم عنوة فما في القلوب لا تحس به إلا القلوب ، أكرمهم بصفاء و إنشراح صدر و إخلاص لله فالله سيديم عليك سعادتك كما أنهم قد يتأثرون بمعاملتك رغم علمهم بأنك تدرك أنهم منافقون ، فالإحتفال وحيدا أقبح من الجنازة المشيعة !

راقب نفسك جيدا في هذه المرحلة لأنك ستكون ثملا بسعادتك و قد لا تلقي بالا لمعاملتك لغيرك ، فإن لم تكن جيدا مع الغير في قمة سعادتك فمتى ستكون جيدا !

و أخيرا .. فعلت كل هذا بجدارة في حين أن غيرك يجلس مرتعدا لينتظر مصيره البائس الذي ضجر منه و من طريقة تفكيره ، بكل إستحقاق لا أجد إلا أن أهنئك |!

عند منعطف النهاية

ها قد إنتهى كل شيئ مرّ وقت طويل كان أسرع من صاروخ عابر و قد حققت جملة من الأهداف ، حققت عددا من الإنتصارات كنت تظنها صعبة المنال بعيدة المدى متعبة و مثقلة الخطى ، ستعرف مدى حماقتك بل مدى نضجك ستبقى آلامك مجرد ذكرى و أحلامك مجرد واقع ظفرت به ، ستتلذذ بذكريات آلامك كلما تذكرتها و ربما تذرف عليها الدموع فنحن في بعض الأحيان نحب من يضطهدنا ليس لأصل الفعل بل لما عكسه فعله علينا .

يا من حققت مطالبك و أهدافك أعلم أنك لا زلت متعطشا للمزيد فمعاركك حياة و ليكن في علمك أن حربك لن تنتهي فلا تنسى أن تعيش و تهنأ و تسعد و تتأمل و تشعر بصفاء و جمال الحياة بعيدا عن الألم و المعاناة ، أعلم أن كلامي ليس بغريب عنك لكنك كلما تطورت أهملت الأساسيات بحجة أنها لم تعد تصلح لتقع في مصيدة نصبتها لنفسك !

عزيزي القارئ لا أملك من الكلمات إلا أن أهنئك و أحتفي بك فأنت نادر لأنك إستطعت الوصول لما قرأته من كلامي ، أنت شخص رائع فعلا ، أريك منظرا بائسا لكن أرجوك لا تضحك بل إحمد الله و أدع لهم باستفاقة قريبة أنظر هناك تحت التل أولئك الخائفون ، آهٍ كم أشفق عليهم !

نصيحة أخيرة لو سمحت : لا تفرط في صلاتك و القرآن لأنك ستعرف معنى الضياع |!

تحيـاتي

الفهرس